بسم الله الرحمن الرحيم

قلمٌ يكتب الحب

يـــمان ياسرجي

قلمٌ يكتب الحب

مقالات قصصية

يمان عبد الحميد ياسرجي

عنوان الكتاب : قلم يكتب الحب
الموضوع : مقالات قصصية
تأليف : يمان عبد الحميد ياسرجي
قياس الصفحة : ١٤×٢٠
الطبعة الأولى : ٢٠١٠

يطلب من المؤلفة : هاتف أرضي ٥٧٤٦٤٦٢
هاتف جوال : ٠٩٣٣٥٤٣١٣٨

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

الإهداء

في كل وقتٍ .. وفي كل آن ..
يحترف القلم الإبحار إلى موانىء القلوب ..
يعتنق جميع ألوان الحب ..
ويعيش سائر طقوسه ومناسباته ..
يتطهّر .. يخشع .. يسجد ..
يخلص .. يحسن .. يوفي ..
يعاود الرحيل إلى فضاءات المعاني .. ويعترف ..
يعترف دائماً وأبداً ..
أمام محراب الحياة وفوق أوراقها ..
أنه قلمٌ يكتب الحب .

يمان

قلم يكتب الحبّ

عاد من منفاه ..
عاد حزيناً منكسراً يحمل جرحه القـــديم الجديـــد ..
متوشحاً بدثار الغربة ومتأبّطاً قيثارة الانتظار..
وضع أحماله الاعتيادية وأغمض عينيه مستلقياً بثقةٍ فوق أوراقي الدافئة ..
كانت سنين العمر منفاه .. وكانت قلوب الآخـــرين حدود نظره .. أما مداد عروقه فكان الحياة ..
فرحتُ لعودته فكل العَود يُفرح ، ولبثت أنتظر ســـرد حكايات الرحلة وسماع أخبارها ووجدتني أتطلّـــع إلى

صمته الجميل الواعد .. أتأمله بحنان ولهفـــة .. فـــلا أُخفيكم سراً .. أنا **أحب** قلمي .. أنا **أحبه** كثيراً ..

ولعل شفافية العلاقة بيننا وحميمية الصلة قد نبّأته بمـــا يعتلج في قلبي ، فتبسم طويلاً ثم أعلن استعداده الدائم وجاهزيته الكاملة وهمس لي قائلاً :

– أريـــد أن أكتب **الحب** ، لحظة بلحظة ، وخفقـــة بخفقة .. أريد أن أكتب كل شيء والمـــشوار طويـــل فلنبدأ ..

كان صوت المؤذن يرجّع دندنات وترانيم صوفية تهيئة لرفع أذان الفجر ، وكان وقت السَحَر المبارك يتغلغـــل في ذرات كياني بتجليات خاصة جداً ..

كنت أسمع .. أو أكاد أسمع .. كلمات لاشك عندي أبداً بترددها تتنـــزّل من السماء إلى الأرض .. هل من داعٍ فأستجيب له ؟ .. هل من مستغفرٍ فأغفر لـــه ؟..

هل من سائل فأعطيه ؟.. كلمات وأي كلمـــات ؟!!
يتوددّ بها ربٌّ غنيٌّ عن العالمين إلى عباده ..
أخذ الصوت يحاصرني ويعلو في مسامعي .. بل في قلبي وراحت الكلمات تلفّني بحنوٍّ عجيبٍ غامرٍ لتهزّ وجداني هل من مستغفرٍ ؟؟.. هل من سائلٍ ؟؟.. هل .. هل .. أتريدنا أن نسألك يا رب .. فتعطينا ؟ ومـــا ذاك إلا لأنك تحبنا ؟.. بلى يا رب .. تحبنا .. وهـــــذا أول **حبٍّ** أكتبه .. " **يحبهم** .. و .. **يحبونـــه** " .. والثـــاني يحبونه .. وتأتي الواو لتجمعهما في ترابطٍ وثيقٍ رائع .. يحبهم فيحفظهم الحيُّ القيوم الذي لا تأخذه ســـنة ولا نوم ، ويحوطهم بالنعم ويتودد إليهم بالعطاء وبكل ما تعنيه كلمة **الحب** .. أما هم .. فيتركون مضاجعهم من الليل من أجله .. فيتهجدون ويـــستغفرون .. وهـــل الاستغفار إلا إقرارٌ بصولة **الحب** المطهِـــر في القلـــب واعترافٌ بالذنب .. والخجل منه .. يتقدّمـــه ســـؤالٌ

ملحٌ ضارع " يا رب هل أنت راضٍ عـــني ؟؟؟ فـــإني **أحب** أن ألقاك وأنت راضٍ عني .. لأنني **أحبك** .. أي ربي .. لم يعرف **الحب** من لم يعرفك .. ولم يتـــذوق لذة العيش من لم **يحبك** "..

وتمرّ ساعة يتعانق فيها الوقتان .. وقت السَحَر ووقت الفجر .. يمرّان بشفافية بالغةٍ ليتفاخر كل منـــهما بمـــا يحمله من خصوصيةِ خيرٍ عظيم .. أولـــه قـــرب الله الحبيب وإقباله على عباده .. فالرحمات المرســـلة .. ثم النور الوضاء يقذفه الله في القلـــب ليـــشعّ في الوجـــه والملامح والأركان .. بعد ذلك إقبال القـــانتين بكـــل **حبٍ** إلى الوقوف بين يدي ملك الملوك ، راغبين إلى ما هو خيرٌ من الدنيا ومـــا فيها .. وقد سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ركعتـــا الفجر خير مـــن الدنيا وما فيها .. فأقبلوا .. وأقبلوا .. ينهلون من المعين الصافي ويتذوقون من حلاوة **حب** الله .. و**بحـــب** الله

يحب القلب كل مخلوقات الله .. ينظر إليها أو يقترب منها خاشعاً لمولاه ، قائلاً في إجلالٍ وإقرارٍ وتسبيح : ـ هذا صنع الله ، بديع الـــسموات والأرض .. ومـــا فيهن .

وتتنقّل العين بين الآيات الكونية الباهرة .. القمـــر .. البحر .. الشجر .. المطر .. الزهر .. الحجر .. البشر .. وغيرها الكثير .. الكثير مما لا حصر له .. تتنقّـــل بينها لتعترف **بحبٍ** حقيقيٍ لها وتقول :

" **ربي وربك الله** " ..

ويسجد القلب العاشق لمولاه في كل آنٍ متطهراً بدموع الخشية والخوف .. وبدموع **الحب** والرضا .. ليـــصير لهذه الدموع ثقل عظيم في ميزان يوم القيامة .

ويمضي الليل الجميل ساحباً ذيوله الساحرة .. وترسل الشمس أول خيوطها .. وتتمطى كحسناء تمدُّ ذراعيها عند اليقظة لتعانق يوماً وليداً جديداً ...

عندها تراءى لي أن أسطّر بضع عبـــارات **حـــب** .. ورأيت أن أعترف أني **أحب** الشروق .. بلى **أحـــب** الشروق ..

أراه صحوةً حقيقيةً .. تلي الفجر القـــادم من غـــسق الظلمة والليل .. أراه انتباهة مثمرة .. تقطف بركـــة أول النهار بسر دعاء المصطفى .. أولـــم يقل **الحبيب** صلى الله عليه وسلم :

" اللهم بارك لأمتي في بكورها " ..

إنها ساعة تكتنـــز طاقةً كونيةً عالية .. كأرض خصبة عالية الخصوبة ، تزرع فيها ما تشاء فترتد لك الغـــلال وفيرة ، والمحاصيل عامرة .. هي ساعة تستأثر بالخير .. فالذهن صافي .. والمشاعر رائقة .. والقوة الجـــسدية محتشدة على أهبة الاستعداد لبدء النـــــزال .. وهـــل الحياة اليومية سوى صراع متواصـــل مـــع المراحـــل والمشاغل والمشاكل ؟!..

هل هي سوى اشتباك مستمر مع الحاجات والرغبات والطلبات ؟!..

ويأتي شروق الشمس مثل صافرة البدء .. تعلن الانطلاق .. انطلاق كلِّ فارسٍ في ميدانه .. وكلنا فارس ميدانه ، ولكن .. وقد قلَّ الفرسان في هذا الزمان ، فلله درُّكَ يا زمن الفروسية الغابر .. سقى الله أيامك الراحلة .. علّك تعود .. فيصنع هذا الجيل بفرسانه الجدد انتصارات جديدة .. ويبنون أقواس نصر جديد .

وما إن تعلن الشمس بداية رحلتها حتى يرافقها الراحلون إلى بناء أمجادهم دأَباً وإصراراً و ثباتاً .. وجهوداً متواصلةً ..

هاهم .. تماثل حركتهم حركة البراعم الواعدة فوق ربيع الأرض .. لا تكفّ عن فتق التربة لتظهر برأسها الفتي غنية بوعود الخير والجمال والعطاء .. قد تمازجت

ألوانها وتنوّعت تنوّع الحياة نفسها .. تنوّع الخير والبر في كل عمل أو قول .. ويصبح لحركة الإنسان ألـــف معنى تزيده قرباً من خالقه وتربطه بالغاية الأساسية من خلقه .. وهنا يطل الحديث النبوي الشريف الذي يجمع لنا الكثير من الخير في ركعتي الضحى " يصبحُ على كلِّ سُلامى من أحدكم صدقة ، فكل تـــسبيحةٍ صـــدقة ، وكل تحميدةٍ صدقة ، وكل تهليلةٍ صدقة ، وكلّ تكبيرةٍ صدقة ، وأمرٌ بالمعـــروف صدقة ، ونهيٌ عن المنكـــر صدقة ، ويجزىء من ذلك ركعتـــان يركعهمـــا مـــن الضحى ".

وتبدأ الرحلة اليوميـــة .. خطوات محددة مكرورة قد تكون روتينية ، مرهونة بروتين النظام ورتابـــة الأداء وآلية التنفيذ .. لا يقطع مللها إلا صحبة حلـــوة مـــع زملاء عمل نقتسم معهم قهوة الصباح وهَـــمَّ العمـــل المشترك ..

فإذا تقاربت الأرواح أكثر ، صارت الزمالـــة صـــداقة وأخوة تتمتّـــن أواصرها على مدى الأيـــام وتـــزداد جذورها عمقاً وتأصلاً في أغوار النفس ..

ويصير الغريب الصديق .. الأخ في الله .. قطعة مـــن الروح تأنس الروح بحضوره .. وتقطع معه فيافي العيش غير مستوحشة ولا هيابة .. يمدّ لها يد العون ويبـــسط أمامها ملاءة الاهتمام ويقتطع من أجلها جزءاً مهمّاً من وقته وحياته .. يتشاركان .. ويتعاضدان .. ويترافقان ليكون للصداقة ذلك الأثر البالغ الذي لا تحلو الحياة إلا به .. بل .. وتتعذر وتصعب إلا به .. وأكاد ألمس حرّ معاناة النفس عند فقده وقد غدت وحيدة تبذل ضعف الجهد لمواجهة الحادثات وضعف العزم لمواصلة الحياة .. ويمضي بنا الدرب .. يمضي .. فننثني وننعطف فـــوق منعطفات **الحب** التي تفاجئنا بين حينٍ وآخر ، حاملـــة إلينا من الغيب وجوهاً نتأمل في صـــفحاتها الطبـــاع

المختلفة .. وقلوباً نسمع من وجيبها أصوات الوعود .. وعيوناً .. عيوناً نرحل في آفاقها إلى حيث يحطّ بنـــا جناح العاطفة .. **فنحبُّ** .. أو لا **نحبُّ** .. أو نكره .. وما تتعدد هذه الأفعال إلا لتثبت أنها وجوه موشـور الحياة ، يعكس فيها ألوان الطيف كلـها .. صـافية كانت أو شاحبة .. وفاتحة كانت أو داكنة .. مصطبغة ومتلبسة بأحوال التجربـة الـشعورية ، وبـاختلاف درجات القرب والبعد في العلاقة مع الآخـر .. هـذا الآخر الذي قد يكون أحد الوالـدين أو الأخـوة أو الأقارب .. أو أحد الجيران أو المعارف أو الأصدقاء .. الآخر .. وبغضّ النظر عن هويته المزعومـة .. يقـدّم أوراق اعتماده ليحلّ سفيراً في مملكة القلب اللانـهائية وتزداد أوراق الاعتماد هذه غرابةً حين يكون الآخـر بلداً .. أو غابةً .. أو وطناً .. حين يكون شيئاً جامداً ملموساً تتحسسه اليد بمحبةٍ صوفيةٍ وعـشقٍ روحـيٍ

فتحمل من آثاره عبقاً يسكن مساماتها ويشحنها بطاقة استثنائية .. ويغدو الأمر استثنائياً فعلاً إذا صار الآخر هذا حلماً .. أو فكرةً .. أو هدفاً .. فتغلغل هالته الآسرة في كل الخلايا ، وتمتلك عليه الجهات الست .. أقول الجهات الست دون تردد ، وأنا أؤكد حتمية أن نعيش الحلم والفكرة والهدف ونحن موصولون بالسماء فلا تغادرنا جهة الأعلى لحظة غفلة واحدة ، ولا تتملكنا جهة الأعلى إلا لنزداد قرباً من الحبيب الأوحد ..

ولأجل هذا **أحبك** يا قلمي ..

فمهما يغمرك طوفان البوح والتأليف .. ومهما تزدهيك نشوة الإبداع والكتابة .. ومهما يتملكك من الجهات الست حلم الوصول إلى كل قارىء .. تظل الجهة الأعلى تحفزك إلى كل ما رقّ من معنى وما شفّ من تعبير وما تسامى من صور .. متحدياً بنقاء

كلماتك وطهرها أزيز الأقلام المتهالكة فـــوق أكـــوام الرذيلة تنبش فيها وتقتاتها لتعرض بوقاحةٍ وصلفٍ مـــا يدنّس الفكر الإنساني الراقي ويلطّخ الأعراف البشرية الناصعة .

ويستمر البوح في رحلة **الحب** ..

مروراً بالأشياء والأنحاء والأحياء ..

واستيفاءً للزمان والمكان والإنسان ..

فيتغلغل في عمق الذات وفي سرّ الخلجات .. ويفـــرد خيوط العاطفة خيطاً خيطاً ليحوك من ألوانها الكـــثيرة بساط ريحٍ سحريٍ يحمل السندباد المغامر في داخلنا إلى أصقاع العوالم الغامضة في داخل كل إنسان ..

وما أكثر من نلتقي بهم في الطريق .. فمن عابرٍ كومضةِ برق إلى رابضٍ كجبل أشمّ .. ومن مصاحبٍ كرفيـــق سفر إلى غامرٍ كبقعة ضوء إلى متضوعٍ كقطرة عطر إلى ساكن بين الحنايا وخاصٍ جداً مثل بـــصمة العـــين أو

بصمة الإبهام إلى .. إلى .. إلى حالاتٍ تزيد حتى عـــن عدد الأشخاص فتجعل لبعضهم أكثر من لونٍ أو طعمٍ أو رائحة .. ويتفاوتون في درجات **الحب** .. يتفاوتون ويظلّ لكلِ منهم حظٌ من ترياقه .. قـــلَّ أو كثـــر .. يتفاوتون .. ليكون لهم فيما يعشقون مذاهب .. منهم من **يحب** الصيف .. بحرّه .. وانطلاقتـــه بـــين المتـــع والتحرر من قيود العمل والدراسة خـــلال العـــام .. ومنهم من **يحب** الشتاء .. ببرده .. وانكفائـــه داخـــل البيت يقتات دفء النار والصوف .. منهم من **يحـــب** الحياة المرحة العابثة اللامسؤولة فيقضي الوقت متسكعاً في مرابع اللهو والفوضى .. ومنهم من **يحب** الجديـــة والنظام مكرّساً نفسه ووقته لكل عظيمٍ مـــن الجهـــد والطموح .. منهم من **يحب** الألوان الزاهية المشرقة .. ومنهم من يلوّن حياته بألوان داكنة غامقة .. منهم من

يحب الصمت والهدوء والشاعرية .. ومنهم من **يحب** الضجيج والصخب والزحام ..

رمقت قلمي **بحبٍ** وقلت له :

لقد أسهبت في ذكر التفاصيل .. وسبحت في فضاء الجزئيات .. ورحلت بين المدارات .. فأوجز العبارة حتى أشهد لديك متعة البيان المجنح ..

أجابني حالماً :

أحب الله ورسوله .. وأجزع مخافة أن يكون **حبي** هذا زعماً من المزاعم التي يتتبعها الله ويمتحن حقيقة صدقها فلا تتعدى كونها مجرد زعم أو ادعاء ، فأرتعد خوفاً وفرقاً وألجأ إلى التوسل أن يجعلني ربي متحققاً بصدق **الحب** فصدق العمل .

أحب الكون والكائنات وما يتفرع عن لفظتيهما على وجه العموم ..

ولكن .. وبخصوصية أدق .. وبالمعنى الأخص جداً .. الأكثر قرباً والأشد حميمية .. أعترف أني .. **أحبـــك** أنت .. يا من يُسْكِن دفءُ عاطفته قرَّ فؤادي ..

يا من يُغدق علي الحنان .. ويأسرني بالأمان ..

أحبك يا من تَرحمني ظلال مودّته .. ويمـــتلكني نبـــل عطائه .. ويسعدني إحسان برّه ..

أحبك يا من تعتاده الحواس وجوداً رحيماً عـــاطراً لا يمنح إلا خيراً .. ولا يزفّ إلا بشرى .. ولا يتجسد إلا نعمة ..

أحبك .. يا من لم تك قط جراحاً عصية .. ولا نزفـــاً مؤرقـــاً .. ولا اختناقاً مطبقاً .. لم تك أبـــداً شـــراباً مسموماً .. ولا غصة دائمةً .. ولا طعنة أبديةً ..

أيها المفقود من أيامي ، الغائب عن حاضري .. **أحبك** وأنت محض خيال .

أشفقت على قلمي وقلت مواسية :

كأني بك لا تصفه البتة ولا تنعته .. بل .. تنعيـــه .. تنعيه بمرارة وحرقة واغتراب .. كأن القلب قد تحـــوّل إلى مدفن كبير واجف يضمّ رفات قتيل **الحب** .

أشاح القلم بوجهه عني ، ولأول مرة رأيته يعرض عن الاسترسال وفي عينيه دمعة جامدة تلتمع ..

تأملته طويلاً .. وانتظرته طويلاً ..

أخيراً .. همس لي قلمي **الحبيب** قائلاً :

كتبت **الحب** منذ زمنٍ طويل ..

وأكتبه الآن في سطورٍ عاشقةٍ حالمة ..

وسأظلُّ أكتب **الحب** ما امتدّ بيَ العمر وما تطاول عليَ الدهر ..

سيظلّ لوجباتي الفكرية نكهة **الحب** ..

وسيظلّ لرائحة أوراقي عطر **الحب**

وسأظل على الدوام .. قلماً يكتب **الحب** .

الحب البشري الأعظم

تتشابه الأيام عموماً وتتوالى في صمتها المعهود وهـــي سائرة إلى آخر الزمان ..

تتشابه في صباحاتها ومساءاتها ..

تتشابه في ليلها ونهارها ..

ويظل للثاني عشر من ربيع الأول نوره الخاص .. وأي نور .. إنه نور **الحبيب** .

نورٌ وقفت أمامه .. أمام ذكراه .. وقـــوف العاشـــق الخجل .

أردت أن أقول شيئاً .. فتنازعتني قوتان .. وتجـــاذبني محوران .. وطار بي في سماء المقال جناحان .. جنـــاح

الحب وجناح المسؤولية .. و لم أحتر طويلاً بينهما فقد لاح لي أن أقف للحظات في ظلال كل منهما على حدة .

ووقفت في محراب **الحب** .. **حب** رسول الله ..

فانتابتني مشاعر كثيرة يحدوها شوقٌ إلى لقائه .. محبةٌ لكماله .. افتقارٌ إلى ندى صحبته .. واعترافٌ بعظيم فضله .. وهطلت دموع الحنين تسابق حنين الجذع إليه ، وبكيت بكاء ثوبان رضي الله عنه الذي شفّه الوجد حين علم قصر منزلته عن الوصول إلى منزلة الرسول في الجنة ، واختلطت عليَّ الجهات الأربع التي كان يترصدها خوف أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه على صاحبه الحبيب في طريق الهجرة .. وبكيت .. بكيت شوقاً إلى لقائه ، علّ الشوق في قلبي يتحدُّ بشوقه إلينا ، إلى أحبابه .. نحن .. أولسنا من آمن به وصدّقه دون أن نراه ، و لم نؤمن فحسب .. بل **أحببناه**

أحببناه ملء قلوبنا .. ملء حياتنا .. ملء كل نفسٍ وكل لمحةٍ وكل مدى ..

وتطوفتُ وما زلت أبحر فوق أشرعة **الحب** وأُوغل في السفر فوق أمواجه الحانية الآمنة حتى انبثقت من أعماق هذا **الحب** الكبير لهفةٌ حقيقيةٌ ألقتْ بي في خضم المسؤولية .. وضجّ في ذاتي التساؤل الملحّ .. صِدْقُ **الحب** يولد حقيقة المسؤولية .. فإن كنت **تحبين** رسول الله فما الذي تفعلين تحت لواء هذا الادعاء الخطير ؟؟ أيّ نصرٍ تنصرينه ؟ وأي مؤازرة تؤازرينه ؟.

ورجعت إلى حالي .. إلى حال أمة هذا **الحبيب** .. تلك الأمة التي كانت ـ و يجب أن تظل ـ خير أمة أخرجت للناس .. فرأيت أننا ندمن الفراغ واللهو والعبث ، ونتخاذل عن العمل الصالح والمعروف ، ونغرق في أسباب التنافس على الدنيا والتكاثر فيها ..

رأيت أننا ضيعنا الأقصى وتركناه للصهاينة يعيثون فيه الفساد ..

رأيت أننا بتنا نتبع خطوات الشيطان وأهواء النفوس ، ونسينا السنّة وجهلنا السيرة ..

سنّة من ؟؟ وسيرة من ؟؟

إنها سيرة المصطفى وسنته الشريفة ..

سيرة من اصطفاه الله عزّ وجلّ لينير طريق العـــالمين إلى الجنة ، وليزيل ضلالات النفوس وجاهلية القلوب ..

وإذا كان الأمس هو المدرسة التي تُخرِّج الحاضر ..

وإذا كان الحاضر هو وقود المستقبل .. فمـــن أجـــل صناعة غدٍ أجمل .. ومن أجل بناء جيلٍ أفضل .. ومن أجل الوصول إلى نهاية مشرقةٍ ترضي الله ورسوله لابد لنا من العودة إلى الوراء .. إلى البداية .. إلى الخطوات الأولى في مسير البشرية نـــتلمس صـــوابها ونتفـــادى أخطاءها .. ونبني فوق أسسها السليمة .

وإلى البداية الأولى نعود .. إلى يوم خلــق الله آدم أول البشر عليه السلام ..

(وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة)

خلق الله آدم .. علّمه الأسماء كلها .. زوّده بطاقــاتٍ خلاقةٍ تعينه على القيام بمهمة الخلافة .. ســخّر لــه الأكوان .. وهبَ له العقل مدعماً بــالفطرة الــسليمة وبالمناعة ليميّز بين الخير والــشر .. منحــه الإرادة .. شرّفــه بالتكليف .. وهيّأه لحمل الأمــــانة .. وأي أمانة ؟؟!!

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبــال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان)

نعم .. حمل آدم الأمانة .. فأكرمه الله ابتداءً بأن أمــر الملائكة بالسجود له .. فسجدوا .. إلا إبليس .. كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه .. واختار التمرد والعصيان وراح يردد .....

(أأسجد لمن خلقت طينا)

(أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين)

و لم يكتفِ .. بل راح يهدد .....

(أرأيت هذا الذي كرّمتَ علي لئن أخرتني إلى يـــوم القيامة لأحتنكنّ ذريته)

أي غُرورٍ يا غَرور ؟!!.. تقول ذريته ؟؟ كلها ؟؟

ويستثني .. ويستثني في حضرة الخالق مرغماً صـــاغراً

(إلا قليلاً) .. اللهم اجعلنا من هذا القليل ..

ثم تطامنه نفسه من جديد فيتوعد .....

(لأُزينّ لهم في الأرض ، ولأُغوينهم أجمعين)

أي غُرورٍ يا غَرور ؟!! تقول أجمعين ؟؟ أجمعين ؟؟

ويستثني .. شاء ذلك أم أبى .. يستثني أمام جبروت الله

(إلا عبادك منهم المخلصين) .. اللهم اجعلنـــا مـــن المخلصين .. آمين ..

وهكذا أعلن الشيطان عداوته الصريحة .. عداوة من طُرِد من رحمة الله .. عداوة الملعون الرجيم ..

وبدأ الصراع ..

صراعٌ طويل عمره آلافٌ وآلافٌ من السنين ، بدايته عند آدم ونهايته حين يرث الله الأرض ومن عليها ..

إنه صراعٌ بين طرفين .. عزّ الله فيه قوة الإنسان بالأنبياء وبرسلٍ تترى ، يحملون إلى بني آدم رسالات السماء والمنهج الصحيح والصراط المستقيم .. أربعة وعشرون ومئة ألف من الأنبياء منهم ثلاثة عشر وثلاثمئة رسول .. كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده ..

(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)

نذير يذكّر الناس بعدوّهم الأول والدائم .. ليتخذوه عدوا ..

(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا)

وتظلُّ صرخة الشيطان تدوّي .. لا يا ابـــن آدم .. لا تعبد الله وحده .. لا تسجد له .. لا تفعل ما يأمرك به خالفه .. كما خالفته أنا .. واعصه كما عصيته أنا .. اسمعني فأنا خير منك .. ولأنني خير منك اسمعني أنـــا واتبعني أنا واعبدني أنا ..

ولكن نداء الخالق .. وفي كل آنٍ .. يتردد في ملكوته الواسع ليصل إلى كل سمع ..

(ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراطٌ مستقيم)

وتظلّ صرخة الشيطان تداور وتناور وتحاور .. لا يـــا ابن آدم .. لا تعبد الله وحده ..

ويا للأسف ..

يطيعه من يطيع .. ويتبعه من يتبع ..

ويملأ وجهَ الأرض أصنامٌ وأوثان ومعبودات شـــتى ..

والرسل تترى .. وتتوالى ..

انظروا .. هاهو الفتى الغيور إبراهيم عليه السلام يكسر الأصنام في غفلة من القوم المشركين ويجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم ..

(قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)

سلمت يداك يا نبي الله إبراهيم .. كسرت الأصنام ودعوت إلى عبادة الله وحده .. سلمت يداك يا خليل الرحمن ويدا ابنك إسماعيل .. بنيتما الكعبة المشرفة ، ثم أذّنت في الناس بالحج ليحجوا إلى بيت الله وليعبدوا الله وحده .. ولكن القرون تتهادى مسترسلة في دأبها المعهود .. والإنسان ينسى .. وبتقادم الزمان يغفل عن عدوّه اللدود المبين ، الذي يتربص به في كل حين والذي يوحي إلى أعوانه من الجنّ والإنس تزيين الباطل وتحريف الحق .. وهاهو أحد أعوانه يتسلل ليغوي ويضل .. إنه عمرو بن لُحَيّ .. الذي أنعم الله عليه

بالغنى ، فكان يطعم الناس ويكسوهم في موسم الحج فلربما نَحَرَ عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة ، خرج من مكة إلى الشام فمرّ بقومٍ عماليق ورآهم يعبدون الأصنام ..

– ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟

– هذه أصنامٌ نعبدها .. نستمطرها فتمطرنا .. ونستنصرها فتنصرنا .

– أفلا تعطوني منها صنماً فأسير به إلى جزيرة العرب فيعبدوه .

– خذ هذا الصنم .. اسمه هبل .. فاعبدوه وانحروا له القرابين .

حقاً .. ما أسوأ ما أتيت به قومك يا عمرو .. أتيت بصنمٍ إلى مكة فنصبته عند بيت الله وأمرت الناس بعبادته وتعظيمه .. لقد كنت أول من غيّر دين إسماعيل

ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيّب السائبة ووصـــل الوصيلة وحمى الحامي .

وتستمر غواية الشيطان وبشكلٍ آخر ..

يا ابن آدم .. يا ساكن مكة .. إن أردت الرحيل عنها فاحمل معك حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحـــرم وتبركاً به .. فحيثما نـــزلت ضعه وطف به كطوافك بالكعبة ..

(وزيّن لهم الشيطان أعمالهم)

ومرت الأيام .. وملأت الحجارة المعبودة وجه الأرض من جديد .. صارت الأصنام حول الكعبة بالمئـــات .. بل صار لكل إنسان إلهه الخاص في بيته .. ولعله مـــن حجارة أو خشب فيتسخ فيزيل عنه التراب .. أو لعله من تمرٍ فيجوع فيأكله أو يأكل منه .. أو لعلـــه مـــن خزفٍ أو فخّارٍ فيطرأ له طارىء فيكسره ..

أيها الإنسان أتعبد حجارة أو تمراً أو خزفـــاً ؟؟ أيـــن عقلك ؟؟ أين أنت أيها العقل ؟ أي غـــشاوة تعمـــي بصيرتك .. يقولون ..

(إنما نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى)

أعذارٌ واهية .. وأسباب غير مقنعة .. حججٌ مزيفـــة وإغراءات باطلة ..

انظر إليها .. هل تضر أو تنفع ؟ هل تملك حراكـــاً إلا ما حركتها ؟ أو وجوداً إلا ما أوجدها ؟

وتستمر غواية الشيطان وبشكل آخر .. بل .. بكـــل شكل متاح أو ممكن ..

يا ابن آدم .. آلهتك هـــذه كلها خير .. ألا ترى أنها لا تكلفك بمشقة ولا تجهدك بأوامر ونواه .. ألا تـــرى أنها لا تحرمك لذائذ النساء الخمر والأموال .. ألا ترى أنها لا تقيّد حريتك ولا تمنعك ما شئت .. فافعل ما بدا لك .. دون قيد أو شرط ..

ويا للأسف ..

يطيعه من يطيع .. ويتبعه من يتبع ..

ويسود الظلام كل بقاع الأرض .. وتسود الظلمة بني آدم إلا من رحم ربي من ذرية سيدنا إسماعيل .. وتعمّ الفحشاء .. وتقطّع الأرحام .. وتـــؤتى المنكـــرات .. ويأكل القوي الضعيف .. والناس يقتتلـــون .. نعـــم يقتتلون أعواماً طويلة لأسباب تافهة ، من أجل ناقـــة مثلاً .. ويطوفون بالبيت عراة .. ويتناسلون بطـــرق عجيبة تكاد تخلط بين أنسابهم .. إلا من رحم ربي ..

وأمام تفشي هذه الضلالات البشرية العجيبة صار لابد من رسولٍ ، يبتعثه الرحمن برسالةٍ تبين لهم الحق والهدى (هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير مـــن قبلك ، لعلهم يهتدون)

ولكنها يا ابن آدم الرسالة الأخيرة .. فأعرها سمعك وافتح لها قلبك .. واحرص على أن تؤمن بها حق الإيمان ..

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به ، وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب)

إنه البلاغ الأخير للناس كافة .. لكل الناس .. أبيضهم وأسودهم ..عربيهم وأعجميهم .. أُرسل به النبي الخاتم عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .. ولعظم حقه على العالمين .. ولعظم فضله على كل الناس .. ولعظم مكانته في قلوب أمته .. ولعظم شأنه عند ربه .. ينبغي لقلوبنا أن تفيض بمحبته ولعقولنا أن تنهل من هديه ولجوارحنا أن تقتصر على إتباع سنته .. ومن أجل أن نزداد **حباً** ونزداد قرباً ونزداد اقتداء نطوف برحلةٍ سريعةٍ في أنحاء سيرته العطرة .. فإلى

جزيرة العرب نمضي وقد أجهدنا التجوال عبر القرون الأولى والعصور القديمة .

إلى مكة نمضي .. إلى تلك البقعة المباركة مـــن الأرض التي شرفها الله ببيته المعظم .. نشهد ليلة مباركة ستعمّ بركتها كل أنحاء الدنيا ..

ليلة بشرت بخير مولود ..

ليلة ارتجّ إيوان كسرى وسقطت منه أربـــع عـــشرة شرفة ..

ليلة خمدت نار فارس و لم تخمد قبل ذلك بألف عام ..

ليلة غاصت بحيرة ساوة وانهدمت الكنائس حولها ..

ليلة صاح فيها يوشع أحد أحبار اليهود في يثرب :

– يا قوم .. يا يهود يثرب .. طلع الليلة نجم أحمـــد .. طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا بخـــروج نـــبيٍّ وظهوره ، و لم يبق أحدٌ إلا أحمد .. آلا فلتسمعوا يـــا عرب يثرب .. يا قبيلتي الأوس والخزرج .. لقـــد آن

أوان بعثة هذا النبي ، وإننا سنكون من أتباعه ونقتلكم معه جميعاً قتل إرم وعاد .

ونعود إلى مكة ..

إلى بيت عبد المطلب تحديداً ..

هناك كانت آمنة بنت وهب تضع غلامها المبـــارك .. غلامها الذي وُلِدَ يتيماً قد توفيَ أباه عبد الله بن عبـــد المطلب وهو في بطن أمه .. حمله الجد فرحاً مبتهجاً .. أخذه فدخل به الكعبة وقام يدعو الله ويشكر له مـــا أعطاه قائلاً :

الحمد لله .. الذي أعطـــاني هذا الغلام الطيب الأردانِ
قد ساد في المهد على الغلمان أُعيذه بالبيت ذي الأركانِ

وفرح الجد بحفيده .. وفرح الأعمام بابن أخـــيهم .. حتى إن عمه أبي لهب أعتق جاريته ثويبة التي بـــشرته بولادة ابن أخيه محمد رغم غضبه من تأخرها في الـــرد عليه ..

– ثويبة .. ثويبة .. أين أنت يا جارية ؟ مـــا هـــذا ؟ كيف يتهاون الخدم في إجابة ندائي ؟ لابد أن أعاقبها ولن تفلت من عقابي .. لن تفلت .

– لبيك سيدي .. هآنذا .. هآنذا .

– أين كنت ؟ ولِمَ لم تردي أول ما طلبتك ؟

– عفوك سيدي .. سامحني .. ولكن خـــدم آل عبـــد المطلب اجتمعوا في بيت أبي طالب من أجل آمنة بنت وهب .. لقد وضعت مولودها قبل قليل .. آهٍ ما أجمله يا سيدي .

– حقاً ما تقولين يا ثويبة ؟ الشكر للآلهة .. وُلِدَ لأخي عبد الله غلام .. الشكر للسماء .. وا لهف قلبي علـــى اليتيم .. اسمعي يا ثويبة .. لقد بشرتني بخـــير بـــشرى سمعتها .. فاذهبي فأنت حرة .

– أنا حرة يا سيدي ؟؟.. أنا حرة .. وافرحتاه .. نلت حريتي ببركة محمد .

– أنا ذاهب لرؤية ابن أخي عبد الله .. قلـــتِ سمـــوه محمدا ؟.. أروني محمدا .. أروني ابن أخي .

ويلتقي أبو لهب بأبيه عبد المطلب فيبارك له بالحفيـــد الجديد ويسأله :

– قيل لي أنك سميته محمدا .. فلم رغبت به عما اعتدنا من الأسماء ؟

– أردت أن يحمده الله في السماء وأن يحمده الخلق في الأرض .. وإني الآن ذاهب لألتمس له المراضع .

وتطالب به ثويبة لتكمل رضاعته بعد أن سعدت بنيل حريتها من بركة بشراه .. وتتنافس عليه بركة والشفاء معها .. وهاهما تتحدثان عن شأنه المختلف ..

– ايه يا سيدي .. أي بركة له .. وأي نور .

– أنا أخبركم .. فمنذ البداية .. منذ أن حملت به آمنة ما وجدت له مشقة حتى وضعته .. فلما فصل منـــها

وتسلمتُهُ خرج معه نور أضاء له مـــا بـــين المـــشرق والمغرب.

– أما أنا فقد أخبرتني سيدتي آمنة أن هاتفاً بشّرها أثناء حملها بأنها حملت بسيد هذه الأمة .. وأن عليهـــا أن تقول إذا وقع على الأرض " أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ".

– فعلاً لقد وقع على الأرض معتمداً على يديه ، رافعاً رأسه إلى السماء .. بل إنه وُلِدَ مختوناً مسروراً .

– ولقد رأينا النور يعمّ كل أنحاء البيت فيضيء كـــل شيء فيه .

– كما رأينا النجوم تدنو ثم تدنو حتى لقد خـــشينا أن يقعن علينا .

ويزداد فرح عبد المطلب بحفيده فيلتمس له من مراضع البادية فهي أحسن أثراً في نمو الوليد ونشأته ويرسله مع حليمة السعدية التي أكرمها الله بهذه النسمة المباركة مما

جعلها تشهد بركة وجوده بين أبنائها ، يرتوون من ثدييها حتى الشبع وما كانوا ينامون الليل جوعاً .. بل حتى ناقتهم المسنة قد صارت حافلاً وما كانت تبض بقطرة لبن .. وهكذا بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني سعد حتى الثالثة من عمره وكانت حادثة شق صدره سبباً في خشية حليمة عليه وإعادته إلى أمه التي لم تسعد بقربه كثيراً إذ وافتها المنية وهو في السادسة من العمر عندما كانت تزور قبر أبيه ..

فداك روحي يا رسول الله .. لقد اجتمع عليك اليتمان ، يتم الأب ويتم الأم ، وهاهو الجد الحنون الذي أظلك باهتمامه وحبه يفارقك أيضاً وأنت ابن ثمان سنوات .

وانتقل محمد بن عبد الله إلى بيت عمه أبي طالب الذي نهض بحق ابن أخيه على أكمل وجه ، فضمّه إلى ولده وقدّمه عليهم ورعاه حق الرعاية .. وظلّ يعزّ جانبه

ويبسط عليه حمايته ويصادق ويخاصم من أجله حتى آخر لحظة من حياته ..

ونشأ الرسول صلى الله عليه وسلم وترعرع في حفظ الله ورعايته .. صادقاً .. أميناً وقوراً .. عفيفاً حتى بلغ الخامسة والعشرين .. مما دعا خديجة بنت خويلد أن تستأجره لتجارتها أولاً ، ثم تخطبه لنفسها لما رأت من أخلاقه وأمانته وعلو شأنه وتمّ الزواج السعيد .. ورزقه الله منها الأولاد فكان أكبرهم القاسم وبه يكنّى .. ثم الطيب عبد الله .. ورقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة .. وهاهما زيد وميسرة خادما خديجة يتحاوران حول عظيم خُلُقه في بيته ومع أصحابه ..

– ألا ترى يا زيد كم يحبّ سيدي محمد الخلوة في غار حراء .. لقد صار اعتكافه شهراً من كل سنة عادة دائمة لديه .. يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ويتفكر ويتطلع إلى السماء .

– المهم يا ميسرة أنه يخرج بنا جميعاً معه ، فأنا والله لا أطيق فراقه .. وليس لقلبي صبرٌ على بعده أبداً .

– وأنا أيضاً .. فمن حسن حظنا أننا نـــنعم بأطيـــب وأنبل سيدٍ على وجه الأرض .

– حقاً فما أشرف أخلاقه وما أكرمها .

– إنه الصـــادق الأمين في قومه .. الحليم الـــودود في بيته .. الكريم الجواد مع المساكين .. العفيف الشريف بين أقرانه .

– بل إنه أحسن الناس خلقاً .. لا فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح .

– ألا ترى كيف يعاملنا ؟ إنه لا يقول أُفٍ قط .. ولا يعيب علينا شيئاً قط .. لا يقول لشيء صـــنعناه لِـــمَ صنعتم هذا .. ولا لشيء لم نصنعه لِمَ لم تصنعوه .

– بل إنه يا ميسرة يخدم نفسه .. فيخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه ويحلب شاته .. إنه يعمل مـــا يعمـــل الرجال في بيوتهم ويكون في مهنة أهله .

– ويداعب الصغار ويتلطف لهم .. بل ويداعب الكبار ولا يقول إلا حقاً .

– نعم والله .. إنه أفصح خلق الله .. وأعذبهم كلاماً .. وأحلاهم منطقاً .. كلامه يأخذ بـــالقلوب ويـــنعش الأرواح .

– وما أكثر ما تمتدحه سيدتي خديجة .. لقد سمعتـــها تقول له أمس يوم أن دخل عليها وهو يرتجف خوفـــاً ويقول ..[زمّلوني .. زمّلوني .. لقد خـــشيتُ علـــى نفسي] لقد قالت له [كلا والله ، ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتُكسِبُ المعـــدوم .. وتقري الضيف .. وتعين على نوائب الحق].

– صحيح لقد حدث ذلك ليلة جاءه المَلَـــك في غـــار حراء ، فقال له (اقرأ) قال (ما أنا بقارىء) فأخذه فغطّه حتى بلغ منه الجهد .. ثلاثاً .. ثم أرسله وقال له (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الكرم) .

– هذا هو الناموس الذي نزّله الله على موسى .. وهذا ما أخبر به الشيخ الكبير ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ولقد قال لسيدي محمد [يا ليتني فيها شاباً .. ليـــتني أكون حيّاً إذ يخرجك قـــومك] فســـأله سيدي محمد [أوَمخرجيَّ هم ؟] قال له [نعم .. لم يأتِ رجلٌ قـــط بمثل ما جئت به إلا عودي .. وإن يـــدركني يومـــك أنصرك نصراً مؤزراً] .

– وهذا ما سيكون عليه شأننا معه .. أليس كذلك يا ميسرة ؟؟؟ سنصدّقه وننصره .. وسنكون مع الـــسيدة خديجة أول من يؤمن به .

وبدأت الدعوة ..

بدأ الامتحان .. بدأ الابتلاء .. وبدأ الاختبار .. بدأ إيذاء المشركين الذين أسرفوا في تعذيب الضعفاء من المسلمين بالضرب والجوع والعطش .. منهم بلال الحبشي الذي أُلقي فوق الرمال الحارقة وقت الظهيرة وأُلقي فوقه صخرة عظيمة يقال له [لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات العزى] وهو يقول في ذلك البلاء [أحدٌ .. أحد] .. وكثر المعذبين فمنهم من مات في العذاب كياسر وسمية ومنهم من اشتراه الصدّيق أو خديجة بالمال فأعتقوهم كعامر بن فهيرة وأم عُنَيس .. ولم يقتصر التعذيب على الضعفاء الذين لا عشيرة لهم تحميهم ، بل تعدّى ذلك إلى كل من أسلم .. ولو كان من أشراف قومه كأبي بكر والزبير بن العوام .. بل .. ولم يسلم رسول الله نفسه من الأذى رغم حماية بني هاشم له .. فقد كانوا

يضعون الشوك والقذر في طريقه .. ويلقون التـــراب على رأسه ويضعون عليه سلى الذبيحة وهو ساجد في البيت الحرام .. ولقد سبّه أبو جهل سبّاً قبيحـــاً يـــوم أسلم عمه حمزة .. وحاصرته قريش في الشِعب نحواً من ثلاث سنين حتى أكلوا الخبط وورق الـــشجر وحـــتى اشتد بهم البلاء وبلغ منهم الجهد .. ثم اشتدّ الإيذاء بعد أن فقد النصير بموت أبي طالب وبعد أن فقد الأنـــيس بموت خديجة .

وهكذا استباحت قريش ما يجوز وما لا يجوز في عرف المروءة وعملت كل حيلة وكل جهد في سبيل إيقاف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم .. ولكنه لم يتوقف و لم يقتصر في دعوته على أهل مكة فحسب .. بل كـــان يعرضها على كل القبائل في مواسم الحج .. إلى أن قَدِم جماعة من الخزرج من يثرب إلى بيت الله الحرام فسمعوا رسول الله يعرض دعوته فآمنوا به وصدّقوه ..

وهاهما عبادة بن الصامت وأسعد بن زرارة يتحاوران فيما بينهما بشأن هذا النبي الجديد ..

– أسمعت يا أسعد ما يعرض محمدٌ من دعوته على القبائل .

– نعم يا عبادة .. وإني لأرى إمارات الصدق بادية عليه .

– أتذكر قول أحبار اليهود في يثرب بأن نبياً سيُبعث الآن قد أظلّ زمانه .

– نعم .. فكم هددّونا بأنهم سيتبعونه فيقتلوننا معه قتل عادٍ وإرم .

– وما ترى ؟؟ والله إنه لهو النبي الذي يتوعدنا به يهود ، فلا يسبقونا إليه .

– لقد سمعته وآمنتُ به وصدّقته ، وإنا لأرجو أن يجمع الله به قومنا من الشتات ويؤلف بينهم .

– إنه يطلب منا أن نبايعه على ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف .

– أرى والله أن يثرب ستستقبل دعوته بقلوبٍ متفتحةٍ للإيمان ونفوسٍ راغبةٍ في التضحية .

ويرحل مصعب بن عمير مع الخزرج ليقرئهم القـــرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين .. وينـــزل في دار أسعد ويتعاون معه على نشر الدعوة إلى الله في منازل يثرب .. ويأذن الله تعالى لرسوله الكريم بالهجرة ليلـــة مكرت قريش لقتله من خلال اختيار رجلٍ من كـــل قبيلة ليتفرق دمه في القبائل كلها .. ويمكرون .. ويمكر الله والله خير الماكرين .. ويصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة التي أشرق فيها نور الإسلام من خلال بيعتي العقبة الأولى والثانية فما يكاد يخلو بيـــت مـــن مؤمن به وبدعوته .. ويصل النبي المهاجر مع صـــاحبه

ليجد الأنصار الكرام وقد فتحوا قلوبهم **للحـــب** لـــه وبيوتهم لمؤآزرته ونصرته .. فرحين .. منشدين ..

طـــلع البدر علـــينا .... من ثنيات الوداع
وجَبَ الشكر علـــينا .... مـــا دعا لله داع

ودخل الرسول المدينة محاطاً **بالحب** والتكريم .. كـــان يوم دخوله يوماً حافلاً لم تر المدينة يوماً أشـــد فرحـــاً وابتهاجاً منه .. لقد أشرقت جوانبها حتى أضاء منـــها كل شيء ، وازدانت وتنورت حتى سُمّيت إلى يـــوم القيامة بالمدينة المنورة .

وبدأ النبي يرتب في المدينة شؤونه وشؤون المـــسلمين وينشىء المجتمع المثالي الفاضل على قواعد من **الحـــب** والإخاء والعدل والمساواة والتكافل والتعاون والتضحية والإيثار .. وهي المبادىء التي وضعها الإسلام للمجتمع الصالح ليعيش الناس في كل زمـــان ومكـــان أخـــوة متعاونين يسودهم الوئام ويظللهم الأمن والسلام .

ولكن الأعداء من المشركين واليهود والمنافقين والأعراب اجتمعوا على معاداة المسلمين والكيد لهم فأذن الله للمؤمنين بالقتال دفاعاً عن عقيدتهم وحماية لها ممن يعتدي عليها .. وبدأت الغزوات تتوالى لتمتحن **الحبّ** في قلوب المؤمنين .. **حب** الله ورسوله و**حب** الشهادة في سبيل الله و**حب** الجنة ، وصارت هذه الغزوات دروساً عملية تلقّنُ النفوس المؤمنة الصبر والإيثار والشجاعة ، وتدربهم على إعداد القوة للعدو وعلى الرباط والمرابطة وعلى السهر عند حدود الله لتبليغ كلمة الله .. وهاهي الغزوة التي حملت إليهم من الدروس أبلغها ، يوم عاد الرسول بعد انتهاء غزوة حنين والطائف بغنائم كثيرة .. وراح يوزعها بعطاء من لا يخاف الفقر .. يتألّفُ به القلوب ، حتى ازدحمت ببابه الأعراب يطلبون المال .. كانت القسمة مبنية على سياسة حكيمة لم يفهمها الأنصار الذين حُرموا من

العطاء و لم يدركوا أبعادها ، فإذا بهم قد وجـــدوا في نفوسهم شيئاً على رسول الله .. وهاهو سعد قد دخل على رسول الله يسأله فيما فعل ويخبره بخبر القوم ..

– يا رسول الله .. إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في الغنائم .. لقد قسمتَ في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العـــرب ، و لم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء ؟!

وأجابه الرسول الكريم :

– فأين أنت من ذاك يا سعد ؟

– ما أنا إلا من قومي يا رسول الله .

– فاجمع لي قومك .

ودخل الرسول العظيم على الأنصار المجتمعين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

– يا معشر الأنصار .. ما قالة بلغتني عنكم و جِـــدةٌ وجدتموها علي في أنفسكم ؟؟ ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم

الله .. وعالة فأغناكم الله .. وأعداء فـــألّف الله بـــين قلوبكم ؟؟

طأطىء الأنصار رؤوسهم وقالوا :

– بلى .. الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل .

– أما واللهِ لو شئتم لقلتم ، فلصَدَقتم ولصُدّقْتُم .. أتيتنا مُكذباً فصدقناك ، ومخـــذولاً فنـــصرناك ، وطريـــداً فآوينـــاك ، وعائلاً فآسيناك .. أَوَجدتم يـــا معـــشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألّفتُ بـــــها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب النـــاس بالـــشاة والـــبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟؟ فوالـــذي نفـــس محمدٍ بيده لولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ..ولو سلكَ الناس شِعباً وسلكت الأنصار شِـــعباً لـــسلكتُ شِعب الأنصار .. اللهم ارحـــم الأنـــصار .. وأبنـــاء الأنصار .. وأبناء أبناء الأنصار .

وبكى القوم تأثّراً بحديث **الحبيب** .. بكى القوم حتى اخضلّت لحاهم .. قالوا فرحين .. ممتنين :

– رضينا برسول الله قَسَماً وحظاً .. رضينا برسول الله .

ورجع رسول الله بالأنصار إلى المدينة ..

أقام فيها يستقبل الوفود التي جاءت من كل أنحاء الجزيرة تعلن إسلامها ، وراح يجهّز الدعاة إلى القبائل ليعلموهم دينهم ويقرئوهم القرآن .. كما قرر أن يكتب كتباً إلى ملوك العالم وأمراء العرب ، يدعوهم فيها إلى الإسلام وإلى سبيل ربه ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد اختار لكل واحد منهم رسولاً يليق به ويعرف لغته وبلاده .

وتنامى المجتمع الإسلامي بسرعة كبيرة ، ودخلت أفواجٌ وأفواج في دين الله حتى آن الآوان لعودة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البيت العتيق .. إلى مكة .. إلى

الكعبة المشرفة بغية إزالة الأصنام والأوثان منها وبشكلٍ نهائي حتى آخر الدهر .

وانتشر هذا الدين الحنيف وبلغ ذروة الكمال فنـــــزل قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) عندها استشعر كبار الصحابة أنها نعي رسول الله الذي ما لبـــث أن فارق الدنيا واختار الرفيق الأعلى .

روحي فداك يا رسول الله .. بلّغتَ الرسالة .. وأدّيتَ الأمانة .. وجاهدتَ في الله حقّ جهاده ..

ربّيتَ أمّةً تقلّدتْ مهام النبوة ومسؤولياتها من غير نبوة تحملها على عاتقها أبد الدهر ، لتوصلها إلى كل سمـــع وقلب وعين ..

روحي فداك يا رسول الله .. لقد بلغنا **حبك** لنا .. يوم بكيت شوقاً إلينا وسألك أصحابك عن سبب بكائك فقلت :

– أبكي شوقاً لأحبابي .

ـ أَوَلسنا أحبابك يا رسول الله ؟

– أنتم أصحابي .. أحبابي أُناس يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني .

هذا هو **حبٌّ** الرسول الكريم لأمته كلـــها .. أولهـــا وآخرها .. **حبٌّ** يمتدّ مـــع الزمان حتى آخر الزمان .. إنه **الحب** البشري الأعظم .

لا تقتلوا باسم الحب

سألـــتْـــه وقد قرأتْ في ملامحه صورة الباحث عـــن شيء مفقود أو ضائع :

– عمّ تبحث يا عمّاه ؟؟ أراك تطيل التحـــديق هنـــا وهناك .. هل يمكنني مساعدتك ؟؟

أجابها دون أن يلتف إليها وكأنه يمعن في تجاهلها :

– ما الذي يحملكِ على مساعدتي ؟؟

استغربت سؤاله الذي يتضمن إنكاراً لمعنى سامٍ مـــن معاني الحياة .. وأرادت أن تردّ الكرة إلى ملعبه – كما يقال – فأجابته بسؤال آخر:

– وهل يستدعي الإقبال على المعاونة والمـــساعدة أن يستبطن غرضاً ؟؟

– أنا أظن ذلك ..

– لِمَ ؟؟!! ..

قالتها وهي تقف بمواجهته تماماً لتجبره على رفع رأسه ومواجهتها .. نظرت إليه بتأمل .. كان رجلاً عجوزاً كساه الشيب وقاراً وألبسته الشيخوخة هيبةً .. أعادت القول مستفهمة :

– لِمَ يا عمّاه تظن ذلك ؟ لِمَ تتوقع أن يداخل العمـــل الطيـــّب دخناً أو أن تشوبه شائبة ؟

– لقد أتعبتني بواعث الأفعال ودوافعها في ترصّـــدها وفهمها .. ولقد أمضيت عمري كله أحلل وأستقرىء وأستنتج .. وكان لابد من دافع ..

– هذا صحيح .. ولكن قد يكون الدافع مـــروءة أو شهامة أو نبلاً .. أو ...

– طبعاً .. وقد يكون اهتماماً صادقاً .. أو مـــصلحة مادية .. أو لطفاً مصطنعاً .. أو **حباً** خالـــ....

قاطعته مسرعة وكأنها ترفض اعتبار الدافع الأخير:

– لا .. لا أظنه دافعاً .. أنا أكره **الحبّ** .

– تكرهين **الحبّ** ؟؟ معقول ؟! .. لعلك تفتقدينه ولهذا اختلطت الأمور عليك فظننت أنه الكره .

– لا أدري .. أنا عاجزة عن الثقة بوجـــوده .. عـــن تصديق ادعاءاته .. عن رؤية آثاره .

– لا أراك على ما يرام .. لابد أن لك شأناً معه ..

– بل إن لي معه شؤوناً مرّة .. أقضّت مـــضجعي .. وكسرت قلبي .. ودمرّت حياتي .. أتسمعني يا عمّـــاه لو أخبرتك بطرفٍ منها ؟؟

– كيف لا أسمعك وقـــد بـــادرت إلى مـــساعدتي .. وسارعت إلى عوني ..

– إذا تسمعني بدافع ردّ الجميل ..

تبسم العجوز من قولها وردّ بحنانٍ حقيقي:

– سيكون للحديث معك نكهته المميزة .. فأنت لمّاحة الفكر .. شفافة العبارة .. أسمعك يا بنتي فلعلي أخفف من عنائك بما يلقي به هذا البوح العابر ..

– إن لي أخاً محباً .. أتسمعني .. أخاً محبـــاً .. أراد أن ينتقم من زوجي بعد أن بدا لـــه منافـــساً خطـــيراً في مهنتهما المشتركة ، فسعى في إذكاء نار خصامٍ طويلٍ أنهك حياتنا الزوجية .. وبدعوى **حبـــه** لي ســـعى في خراب بيت الرجل – وهو لا يعرف أو يعرف – أنـــه يدوس فوق أطلال بيت أخته .. وأنه يغمـــد خنجـــراً مسموماً في قلبها المحطم التعس .. أما زوجي الذي غدا حرّاً طليقاً من إسار علاقتنا البائسة المنتهية فقد سارع بعد فترة وجيزة لا تقاس بسنين العـــشرة الطويلـــة إلى اجتثاث ذلك الماضي من حياته واستبداله بزواجٍ آخـــر نكاية بذلك الأخ ورغبة في الانتصـــار عليه والانتقام

منه .. وأما أهلي وجميع من حـــولي .. فقـــد وقفـــوا متفرجين ..

وبدعوى **الحبّ** .. **الحب** الذي بدا لي قاتلاً في كـــل وجوهه .. أحـــاطت بي أذرعٌ من اهتمام قاهر آســـر حيناً .. ومن حياد باردٍ جافٍ حيناً آخـــر .. جلـــس الجميع حول مائدة فاجعتي .. ينظّرون .. يفلسفون .. ويقترحون .. أما أكثرهم **حباً** فقد أظهر مبادرة واعدة للتعاون .. ثم ....

ثم انصرفوا جميعاً إلى دروبهم الخاصة .. وأُبقيت وحدي في خضم حزنٍ لا يرحم .. أمواجه عاتية متلاطمـــة .. وصخوره ناتئة حادة .. وما بين هذه وتلك انكـــسر الشراع ..

انكسر الشراع .. وتحطمت السفينة .. وغرق ما فيها من متاعٍ جميل ومن أشياء حميمية ومن مقتنيات ثمينة .. وغرق معها فرح .. وأمان .. ونبض ..

وبعد صراع طويل فوق خشبة عائمة اقتطعها القدر من السفينة المحطمة أُلقي بي فوق شاطئ مجهول .. مبللة ثيابي .. ومنهكة قواي .. ومفقودة ذاكرتي ..

صحوتُ أحمل جرحاً عميقاً في يدي .. وآخر في قلبي .. وكلاهما كان ينزف حتى اختنقت بدمائي أو كدت أختنق ..

وهنا أطلت دعوى **الحب** من جديد – وبرأسٍ كرأس الحربة المسموم – لتشبع شهوة االإنتقام العارمة .. نعم .. بدعوى **الحب** .. عاد زوجي من جديد .. وبشروط مجحفة جائرة ليثبت لأخي أنه قادر على أن يطأ بأقدامه المنتصرة الأرض المحروقة .. وأنه يدوس ترابها الدامي غير آبهٍ بدمارها أو آسفٍ لتصدعها ..

بدعوى **الحب** والتملك غرس أهلي شجرة صبار شائكة في رئتي وجعلوا – دون قصدٍ – أشواكاً قاتلة تنغرس مع كل نَفَسٍ يتردد في صدري ..

بدعوى **الحب** تسمع من الآخرين كلمـــات لا دليـــل عليها .. تنهال بزخمٍ مزيفٍ لتأخـــذ منـــك قـــدر استطاعتها .. تمتص نضارة روحك وتفرز فيك الوهم والهم والألم .. وتسرق دفء أيامك وتغرقك في صقيع الغربة والوحشة ..

بدعوى **الحب** .. تكذب الكلمات عليك .. وتستغل لطفك .. وتستبيح حدودك .. وقد تضع الأصـــفاد في رجليك ويديك وحول عنقك ..

بدعوى **الحب** يكيل الآخرون بمكيـــالين .. ويقبلـــون بوجهين .. ولكنهم .. يتحدثون ويتحاورون بـــألف لسانٍ ولسان .....

ولكي ينهي العجوز استرسالها المحموم هذا .. رفع يده كافّاً لها بقوله :

– على رسلك يا ابنتي .. لقد لسعني جحيم كلماتك .. هوناً .. هوناً ..

نظرت إليه صامتة وطال صمتها .. أما هو فقد استبطأ ردّها فقال :

– وكأنك قد أفرغت كل ما لديك ؟؟ ألم يعد هناك ما يقال ؟؟

– لقد اغتالني **الحب** بكل ألوانه .. بنوة .. وأمومة .. وأخوة .. وصداقة .. وارتباط .. قتلوني جميعاً بحبهم إياي وبحبي إياهم .. ليصدق فيَّ قول الشاعر (أنت القتيل بأي من أحببته) .

تفرّس العجوز في وجهها حانياً متعاطفاً :

– إذا امتلأ **الحب** بكل هذا القدر من الأسى .. فما الذي يجعل الحياة حلوة ؟؟

– صف لي شعوراً يُسعد دون أن يُشقي ، وما هو **بالحب** .. ويُشيع الدفء في الأوصال دون أن يحرق ، وما هو بالنار .. ويصنع الفرح دون أن يجرح ، وما هو بالعطف أو الشفقة ؟

– إنه مـــا أبحث عنه في كل مكـــان .. في النفـــوس البشرية .. في الآفـــاق الأرضـــية .. وفي المـــساحات الكونية .. ولقد وجدت لدى أمنا الأرض جواباً عملياً لم أصل إلى توصيفه بعد ولكنني أشعر به قوياً حقيقياً .. فإذا ما تمددت فوق ترابها الطهور امتصتْ شـــحناتٍ سلبيةً تعصف بكياني .. وسكبت في جـــسدي طاقـــة إيجابية رائعة تبث السكينة وتنبض بالحيوية .. إنها تفعل ذلك دون مقابل .. دون مَنٍّ .. ومتى شئتُ .. وأيـــن شئت .

– الأرض ؟! .. إنها أمنا الحنون .. نقذف أشـــجارها بالحجارة فتمطرنا بالثمار ..

ولا أظن أن إنساناً ما .. مهما بلغ شأنه في الحِلـــم .. قادر على أن يتخلق بهذا الخلق الكريم ..

– هذا بسبب بشريتنا المحكومة بالكثير من النقـــائص والعلل .. نظل ندور في مدارات أنفـــسنا متمركـــزين

حول ذواتنا .. نلهج بذكر ما يروق لنـــا .. ونأمـــل دائبين بكل ما يحقق رغائبنا .. ونأبى .. نظل نأبى كل ما يعكر صفونا .

– وهل استطعت يا عمّاه بعد كل هذه السنين الطويلة أن تكتشف المعادلة الصائبة ؟؟

– لقد وصفتِ الأرض بأمنا الحنون .. ولقد استهوتني لفظة الحنان مراراً وتكـــراراً في معـــرض اســـتقرائي للعواطف والبواعث .. إن الحنان دفء جميل يـــسري في العروق الباردة ويشيع فيها الاسترخاء والسكينة .. إنه نبلٌ شفاف يغمر برقته ظمأ الروح إلى الألفة .. إنه عطاء ودودٌ وتواصلٌ لا مغرضٌ ولا غائي .. إنه إحسانٌ غير مشروط وبِرٌّ تلقائي عفوي .. يخفض الجناح مـــن الرحمة ويضمّ إلى الصدر من الحنو .

– نعم والله .. لكم تاقت نفسي إلى صدرٍ حنون أُسند رأسي المتوجعة عليه ، وإلى ذراعين حبيبتين تُحيطـــان

بجسدي المنهك .. إنه شقاؤنا المحتوم يبدأ لحظة نغـــادر وللمرة الأخيرة حضن الأم الدافىء .. إنـــه حرماننـــا المؤكد يكبر لحظة نكبر ونفارق أعشاشنا .. إنه ظمؤنا يشتدّ لحظة إعلان الفطام ، وجوعنا يزداد لحظة ولادة هلال الرشد .

– أراك تبالغين في إقرار حالة شـــديدة مـــن الجـــدب العاطفي .. قلتِ " شقاؤنا المحتوم " وقلتِ " حرماننـــا المؤكد " .. و كأن الحياة في منظارك هذا تنتهي لحظة نكبر .. بتعبير آخر تصل إلى الذروة لحظة نكبر ثم يبدأ الانحدار إلى الهاوية .

– وأي هاوية ؟؟؟ .. هاوية تفغر فاهاً لتتلقف ســـنين العمر الذابلة .

– ليس الأمر بهذه الدرجة من الـــسوء .. والخـــير لا ينقطع بتاتاً في الناس .. قد لا نجد بغيتنا في كل ما ومن حولنا .. ولكن الدنيا لا تُظلم بذلك .. وستظل تُشرق

في كل يوم شمس جديدة .. وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً .

– ما أروع أملك يا عمّاه .. إنه يشعل شمعة في الظلام .

– لا باس بلفظة الأمل .. ولكني **أحب** أن أدعوه حسن الظن بالله .

– هذا هو .. فبحسن الظن بالله أقبلتُ على مساعدتك في بداية لقائنا .. أم لعلك نسيت أن ما فتح كل هذا الحوار بيننا إنما هو سؤالك لي عن الذي يحملني على مساعدتك .

– حسناً .. فما هي إجابتك بالتحديد ؟؟؟

– في قناعتي أن كل معروفٍ يقام بين الناس يطوي بين تضاعيفه قيماً كثيرة .. قيماً تخصّ الفاعل متراوحة بين شُعَبِ الإيمان ومنطلقة من الثقة بالله واليقين بثوابه ووعده ووعيده ، يتوّجها حسن الظن بالله .. وقيماً

تخصّ المفعول إليه متمثلة بتأدية الشكر وحسن التلقي وحسن الرد .. كما تضمّ قيماً تخصّ الفريقين معاً فتمطرهما بغيث الألفة والمشاركة وتزفّ إليهما بوارق الخير والحنان .

– إلى الحنان تعودين دائماً .. وكأنه الأرض التي لا تنبت إلا خيراً .

– صحيح .. فمعنى أن يُعطيك أحدٌ ما فترةً من وقته ليُعينك أو ليقضيَ حاجتك أو حتى ليسمعك .. طواعية .. لا تجبره عليها واجباتٌ أو قوانين أو التزامات .. فكأنه يُعطيك قطعة من قلبه أو من ذاته .. وما أثمنه من عطاء !!!!

ومعنى أن يغمرك أحدٌ ما بعاطفة صادقة فيهتم بشؤونك ويشاركك حالاتك الوجدانية المتعاقبة فرحاً وتراحاً ويُسرُّ بالنصيحة ويستر العيوب .. ثم لا يطالب عوض

ذلك تملكاً أو أسراً أو تسلطاً .. فقد أغـــدق عليـــك وأوسع .

– أعترف أنك قد حلّلتِ فأجدتِ .. وتحدثتِ فأصبتِ وهاأنذا أتوّج خلاصة حوارنا بنداءٍ إلى كل أهل الأرض لكي نكون أكثر حناناً .. فلا نتصارع تحـــت رايـــة الأنانية والتملك .. ولا نقتل باسم **الحب** .

فن البقاء ملء العين

إلى كل من **يحب** أن يظلّ ملء عيون من حوله ..
إلى كل امرأة لم تفقد زوجها بعد ، وكـــل رجـــلٍ لم يفتقد إجلال زوجته مع تطاول العهد بينهما ..
إلى كل إنسان .. يحرص على أن يظـــلّ في دوائـــــر الضوء .. غير منسيٍ ولا مهمل ..
أدعوك إلى أن تتألق دائماً .. أدعـــوك .. أن تكـــون حريصاً على كل ما يصنع الألق ظاهراً وباطناً معاً كما النجوم .. تشع بريق ماس بينما هي تهدي إلى الطريق ، وتتوهج نوراً بينما هي تسبح في الظلام الدامس ، وتعزّ على النوال بينما هي في مساحة الرؤية ..

إياك أن تضيع في زحمة المشاغل .. أو أن تبتلعك دوامة الأحداث اليومية اللامتناهية .. واحذر ألا تسحبك الرتابة إلى المقاعد الخلفية من مركبة الحياة .. وألا يقصيك الإهمال خارج حدود الاهتمام ..

كن متجدداً دائماً وحقق المعادلة الصعبة .. متجدداً فلا تُملّ ، وأصيلاً فلا تخسر مقوماتك الشخصية التي شدّت الآخر إليك في ذات يوم ..

حقاً .. ما أصعب أن تعيش الاعتياد مع الآخرين بشكل مختلف ومتميز.. وما أجمل أن نجعل الآخرين يعتادون علينا اعتياد الحاجة الملحّة الدائمة كالخبز نأكله مع كل وجبة ولا تكاد تخلو مائدة منه .. وكقهوة الصباح تفتح لنا بوابات كل يوم جديد لندلف معها وبها إلى عوالم جديدة ..

ما أروع ألا نجعلهم يعتادون علينا اعتياد الألفة مع الأشياء إلى درجة تمحو صورتها جزئياً أو كلياً كلوحةٍ

معلقةٍ على الجدار .. وكتحفةٍ فنيـــةٍ تحتـــل ركنـــاً في المنـــزل .. وكثريا تعلو الرؤوس في سقف الغرفة .. تمرّ بها العين آناً بعد آن فلا تكاد تراها .

إن البقاء ملء العين فنٌّ لا أدعيه أبداً .. إنمـــا أحاولـــه وأجهد للبحث عنه في طيات الفكر والتأمل .. إنه فنٌّ تتقن الأشجار دائمة الخضرة .. تمارسه بكرمٍ حقيقـــيٍ يهبنا الجمال على مدار العام ، ويضفي علـــى مـــدننا وأحيائنا الرونق والبهجة مكللة بالنـــضارة والحـــسن المشرق ، ويمنحننا دائماً ذلك اللـــون المفـــرح الـــذي يتداخل في لوحة الطبيعة الشتائية ليقـــاوم كآبة ألوانها الرمادية المكفهرة والبنية المتشققة اليابسة .. وأردت أن أكون مثلها .. نضرة إلى أطول فترة ممكنة .. نضرة إلى آخر رمقٍ أعيشه .. أردت أن أكون مثلها فأكون كلمة طيبة تؤتي أكلها وثمارها كل حين .. وهل أجمل مـــن

كلمةٍ طيبةٍ جعلها المعلم الأول النبي الهادي صـــلى الله عليه وسلم قانوناً أزلياً بالغ السخاء حين قال :

" نضّر الله امرؤاً سمع مقالتي .. فوعاها .. ثم أدّاها إلى من لم يسمعها .."

وتتحول هذه السلسلة المنطقية إلى قانون حياة يهـــب الحياة والنضارة .. سماع المقالة .. مقترناً بالوعي والفهم والاستيعاب .. ثم التبليغ إلى من لم يسمع .. ويـــصير التعلم الدائم لشيء جديد أو اكتشافه .. ثم التعمق فيه إلى درجة كافية تسبر غوره وتتشبع بفضله وعطائه .. ثم الأداء الجيد في نشر فوائده وبذلها للآخرين .. منهجاً حياتياً راقياً .. يدعّم التواصل بين العقـــول .. ويـــديم التواصل بين القلوب .. ويبقينا ملء العيون .

هل الحياة مملّة ؟؟؟

حكيمٌ جداً جداً من قال في ذات يوم: " **الليل والنهار يعملان فيك .. فاعمل فيهما** "

نعم .. إنهما الليل والنهار .. بطلا قصتنا أو محورا حديثنا ، فمن تواليهما ينشأ الزمن ويتمدد ، ينطلق من نقطة بدء خلق الكون بنجومه وكواكبه ومداراتها المترابطة فيما بينها ويستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يتواليان .. لنعلم عدد السنين والحساب .. ليقضي كل منا أجلاً مسمى له ..

يتواليان لتكون الحياة ..

يتواليان دائبين لا يكلان ولا يملان .. ولكن هل نحن من نملّ ؟؟ وهل حياتنا هي المملة ؟؟

مع مطلع كل نهار يغدو الرجل إلى عمله باحثاً عن لقمة العيش أو عن ثمنها .. واللقمة مع الغلاء عزيزة المنال يدفع للوصول إليها الغالي والنفيس من الوقت والجهد والعمر ، وربما أكثر من ذلك فيدفع من القيم والمبادىء .. وعند كل مساء يتهاوى جسده المتعب المنهك باحثاً عن راحة تجمع له نشاطه ليعاود الصراع في اليوم التالي .. ولعلها حياة مملة حين لا يستقطع لنفسه وقتاً خاصاً يبهج فيه روحه بتواصلٍ حميميٍ مع صديق أو قريب .. أو يمتع عقله بوجبة فكرية من أطايب المعرفة .. أو يمارس نشاطاً أو شأناً يسرّه ويضيف إلى أيامه ألقاً ما .

ومع مطلع كل نهار تستيقظ المرأة لتجد قائمة طويلة طويلة من الواجبات المفروضة عليها والالتزامات

المطلوبة منها في بيتها أو عملها أو كليهما معاً وتلهث راكضة حتى لا تتهم بالتقصير ، فتهمل ذاتها وتستهلك قوتها وتذوب عند حدود الآخرين .. ولعلها حياة مملة حين لا تدرك المرأة القيمة الثمينة المهدورة لعمرهـــا إلا بعد فوات الأوان وقد هرمت وشـــاخت وتمـــاوت في عروقها خفق الحياة فلم تعد قادرة على طبع بـــصمتها على شيء ما .

أخبرتني جارتي .. وأجابني أحد أبنـــائي .. وأكـــدّ لي قريب من الأقرباء .. ووافقته قريبة أخرى ..

" إن الحياة مملة ".

قالوا لي : يتناوب الليل والنهار .. وتتعاقب الفـــصول الأربعة .. وتتوالى الأعوام .. وتبقى الحياة مملة ..

قلت لهم : أَمع كل ما يحيط بنا من تنوع الموجـــودات والأشياء والأشكال والصور ؟؟

أَرغم اختلاف النـــاس والطبـــائع والأمزجـــة وردود الأفعـــال ؟؟

أَمع كل هذا الكم الهائل مـــن المآكـــل والمـــشارب والمذاقات ؟؟ ..

قالوا : نعم ..

قلت : السر إذا في داخلنا لا في ما حولنا .. والـــسأم يبدأ حين لا نجد ما نفعل أو **نحب** أو نريد .. حـــين لا يكون لدينا عزمٌ على أمر ما أو إرادة لشيء ما .. الملل يبدأ عندما لا نجد ما نعيش له أو من أجله مهما تعدد وتنوع ما نعيش به أو عليه.

والأيام تتوالى .. والشأن نفسه يتكرر .. فهلا أوقفنـــا للحظات عجلتها الـــتي تـــدور في رتابـــة وملـــل .. أستميحكم عفواً .. فلا يمكننا إيقاف العجلة ، لكننـــا نستطيع أن نضيف العطر .. النغم .. اللون .. الكلمة

الألق .. الحلـــم .. الهـــدف .. الفـــوز.. و .. و ...
والكثير الكثير من التفاصيل التي تغني لحظات الحياة .
وما أجمل الوصول إلى نهاية المطاف كجوادٍ أصيلٍ أُقيل من حلبة السباق لكبر سنه لكن سجلاته حافلة بالكثير من الانتصارات وجوائز الفوز الرائعة ..
وأعود إلى مطلع حديثي .. إلى حكمة الحكيم " الليل والنهار يعملان فيك .. فاعمل فيهما " .. لأقـــول إن الكل يعمل .. بلى .. الكل يعمل .. فأي العمل تقصد يا حكيم الزمان ؟!!؟ .. وبأي العمل نقطع ليل ونهار الحياة لكيلا تكون مملة وخاوية ؟!؟!
وأترك لكل قارىء وصل معي إلى نهايـــة المقـــال أن يتلمس الإجابة المناسبة في داخله.

حين تتعدد القراءات

أمام لقطة العدد التي تُفتتح مجلة تواصل بها .. أقـــف طويلاً ..

أسبح في فضاء الصورة وأغرق في التعليق المقترن بها ..

أتأمل مغزاهما وأفكر في الرابط الجميل بينهما ..

ولكن وأمام لقطة العدد /٣٠/ أيار ٢٠٠٨ والمذيلـــة بالعبارة التالية :

سبحت لاهثاً إلى نهاية حمراء

فغرقت متعباً في نهاية سوداء

وقفنا أنا والعديد من صديقاتي متأملات ..

قالت إحداهن :

النهاية الحمراء هي طموح مشتعل يشدني إلى امـــتلاك جذوته واعتلاء ذروته ، وحركتي إليه سباحة لاهثـــة دائبة ومحاولة دائمة متزايدة .. ولو توقفت قبل الوصول لسبب ما ، مهما كان قاهراً .. فإني أغرق في دوامـــة اليأس الأسود وتبتلعني دوائر الإحباط اللامتناهية

وبعبارة أخرى أقول .. أن التوقـــف قبـــل الوصـــول الحقيقي إلى ما نريد والتمتع بالفوز والنصر ، يغرقنا في دائرة الهم القاتم ويغلق علينا منافذ البهجة .

قالت الثانية :

النهاية الحمراء ملذات حسية هابطة ، يزداد اضطرامها شراسة عند أولئك الذين يتهاوون أمام سطوتها ، فـــلا تردعهم عقيدة سماوية ولا أعراف اجتماعية .. عندها يسقطون هالكين في بؤرة فساد أسود وشقاء قاتل .

قالت ثالثة :

أرى النهاية الحمراء ثروة طائلة يضحي طالبها بالغـــالي والنفيس ، بالأهل والأولاد والعلاقات الاجتماعيـــة ، وتتساقط في أثناء الركض المحموم إليها صلات وأواصر واعتبارات ، وتجف عواطف وأحاسيس .. ويـــسقط اللاهثون وراءها في مستنقع الجدب الإنساني ويغرقون في نهاية قاتمة من التعاسة والخسران .

علقت أخرى :

الصورة أبسط من هذا بكثير .. إنها تعني ببساط شديدة سباح ماهر غرّه قرص الشمس الأحمر الذي يقتـــرب ببطء من سطح البحر فيزيد توهج لون الماء ويجعله بقعة حمراء داكنة تشدّ إليها مهارة ذلك السباح وتتحـــداها فينطلق باتجاهها يسابق الزمن ..

لكن عتمة الليل تداهمه في الطريق ويلفّه الظلام الدامس فوق الأمواج قبل أن يصل ، بل دون أن يصل ، وقواه متعبة ومهارته خائرة .

أضافت خامسة :

أنا أرى في غروب الشمس نهاية الإنسان المحتومة بالموت وما حياته إلا مسير لاهث نحو النهاية التي تنتظره في حفرة سوداء يغرق في ظلمتها ووحشتها وبرودتها .

وهكذا .. تعددت التعليقات والتأويلات .. وتنوعت الرؤى والمفاهيم وهكذا .. وجدتني أُسرُّ بحصيلة مميزة غالية من إشراقات العقول عندما تحتك وتتفاعل .. ووجدتني أُسارع إلى اقتناص صيد هذا الخواطر المتدفقة لأسجل بها جمال اللغة وغنى التعبير .. أدركت كم تمنحنا القراءات المتعددة أفكاراً أكثر عمقاً وثراءً .. كم تزيدنا اتساعاً ورحابة .. كم تمدنا بمستويات راقية للحوار وتعلمنا أدب الاختلاف في فهم وتقبل وجهات النظر المختلفة ..

أدركت كم تجعل حياتنا أجمل .. وأغنى .. و**أحب** !!.

أنت تضيّعين وقتك

كدتُ أخسر حماسي .. وأفقد حلمي .. وأركـــن إلى فشلٍ ذريع ..

كـــدتُ أُصدّقُ العبارة التي طرقت مـــسامعي آلاف المرات لتثنيني عن عزمي وتثبّـــط من همّـــتـــي :

" أنت تضيّعين وقتك " ..

مـــا أكثر ما قالها الآخرون .. وما أكثر ما قيلت لي :

" أتريدين إصلاح العالم ؟ بكلمات تقولينها .. وقد تجد سامعاً أو لا تجد ، أو تكتبينها .. وقد تجد قارئـــاً أو لا تجد ..؟؟ "

" أتريدين إصلاح النفوس وقد فـــشل في إصـــلاحها الأنبياء والمصلحون ؟ "

" أتريدين رفع الهمم النـــائمة وقد تعـــالى شخـــــير النائمين ؟ "

" أتريدين التغيير وقد اعتاد الناس حياتهم الخاملة ؟ "

" أنت تضيّعين وقتك .. أنت تضيّعين وقتك " ..

لكن مقطعاً صغيراً جداً من حوار بين صديقين التقطته في صدفة عابرة وأنا في الحافلة ، جعلني أدرك حجـــم مأساتنا حين نصغي لأولئك الذين يتقنون فن التثبـــيط لأولئك الذين يمتلكون مهارة الهدم ، ويعرفـــون كـــل الطرق التي تعيدنا إلى الوراء .. بل .. أولئـــك الـــذين يستنـــزفون طاقتنا وقوتنا في إقناعهم بأننا نستطيع أن نحلم .. وأن نحقق حلمنا .. وأن نفعل شيئاً ناجحاً في هذه الحياة .

قال الصديق الأول : لقد كنتَ متردداً .. ومـــا أراك اليوم إلا قد حزمت أمرك بأسرع مما توقعتُ لك .

أجاب الثاني : لقد أعانتني على اتخاذ القرار نصيحةٌ ثمينةٌ من جملة نصائح لفلانة .. قرأتها في مقالها الأخير .

ودهشتُ .. بل سررتُ .. بل طرتُ فرحاً حين سمعتُه يقول هذا .. ذلك أنـــها نصائحي .. وأنـــا صـــاحبة المقال .....

أرأيتم يا من كنتم تقولون لي " أنت تضيعين وقتك ". هذه إحدى ثماري اليانعة .. وأظن أنهـــا لـــن تكـــون الأخيرة ..سأعمل منذ الآن بجهد أوسع وجدٍّ أكبر .. لأزيد مكاسبي مـــن هـــذا القطـــاف .. ســـأقول .. وسأكتب .. وسأفعل .. وسألقي بكل عطائي في وجه الريح تأخذه حيث تشاء .. ففي أي مكان وفي كـــل مكان هناك عين تبصر .. وأذن تصغي .. وعقل يبحث عن الرشد .

أوهن البيوت

أي بيت هو ؟! تقتل الأنثى فيه الذكر وتطيح برأسه فور تمكنها منه وغلبتها عليه.

أي بيت هو ؟! يفرّ الأولاد من أمهم مخافة شرها وسطوتها.

أي بيت هو ؟! يغادره ساكنوه لحظة الخطر باحثين عن مكان أكثر أمناً وحماية.

إنها صورة للوهن القاتل .. للخوف .. ولعدم الأمان ترتسم على جدران بل على خيطان بيتٍ كبيت العنكبوت ..

ويحذرنا القرآن أن نكون مثلها .. أن نتهاوى إلى قاعٍ بائس من الحياة الأسرية .. قاعٍ مظلمٍ أراده لنا أعداؤنا ذوو البيوت الخربة الواهنة ، حين ابتدعوا مصطلحاتهم المشبوهة ثم زرعوها في الطريق إلى خلخلة صرح المجتمع.

لقد ابتدعوا مصطلح " صراع الأجيال " لينبت لنا شجرة ملعونة تدمي أشواكها قلوبنا وقلوب فلذات أكبادنا ..

لا .. ليس بين الأم وابنها صراع ، وهو المأمور بأن تكون هي أحق الناس بحسن صحابته ..

لا .. ليس بين الزوج وزوجه صراع ، وقد جعل الله بينهما مودة ورحمة ، فإن تعذّر ذلك كان الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان ..

لا .. ليس بين الكبير والصغير صراع ، وقد اُشـــترط للانتساب إلى هذه الأمة شرط رحمة الصغير وتـــوقير الكبير ..

أي صراع للأجيال هو !!! وقد جُعل كل فـــردٍ منـــا راعياً .. بل ومسؤولاً عن رعيته ..

إنه تقريرٌ .. آمرٌ .. أبديٌ ..

" كلكم راع .. وكلكم مسؤول عن رعيته "

إنه حقيقة ملزِمة .. يخفي نورها ظلال هذا الـــصراع المزعوم .. المدسوس على قيمنا ..

كلنا راع ..

وكلنا مسؤول عن رعيته ..

فتعالوا إذاً .. يداً بيد .. نجعل بيوتنا قبلـــة وإمامـــاً .. نجعلها منارة للعالم بأسره .. نطبق بين الجدران كـــل تعاليم السماء ..

فنقرّ عيناً بالأمن .. والأمان .. والهناء .

استعباد .. أم مجرد اعتياد ؟؟

تتحكم فينا .. أم نتحكم فيها ؟؟

تأسرنا .. أم نملك حيالها قياد أنفسنا ؟؟

تستعبدنا .. أم أنها مجرد عادات اعتدناها ؟؟

تساؤلات توالت أمام فكري باحثة عن بداية منطقية لمتوالية الإدمان اللانهائية التي تستغرقنا في عدةٍ من جوانب الحياة .

التدخين مثلاً ..

تدخين لفافة التبغ أو النرجيلة التي صارت أكثر من طقس عام تمارسه المرأة قبل الرجل ويمارسه الشبان قبل الكبار .. بل تمارسه كل فئات المجتمع مروراً بالمثقفين

والأطباء وانتهاء بأكثر الشرائح فقراً وجهلاً ، بـــالرغم من التحذير المستمر في كل المنابر العلمية والإعلاميـــة عن أضراره وأخطاره ..

متابعة القنوات الفضائية أيضاً ..

والتي لا تقدم (عموماً) إلا كل غثٍ وضحلٍ وهـــابط متوجهة بحِرَفية مقصودة لإلهاء وتـــسطيح وتـــسخيف العقول والقلوب فنتابعها بشغف حقيقي واهتمام مبالغ فيه تنقطع دونه كل صلة وسبب ، يرافقنا ذلك الهـــمّ الهستيري باقتناء صور وأخبار رموز الفن وتتبع تفاصيل حياتهم .

كذلك استبدال الطرق التقليدية في التغذية بالوجبـــات السريعة والمشروبات الغازية وبأنواع من المـــأكولات الاستهلاكية المحفوظة والمعلبة والمنكهة والملونة والـــتي تحمل الكثير من الأمراض الغامضة .

ولا ننسى المداومة على السهر الطويل الذي يستنـــزف طاقة الجسد ويؤدي إلى استيقاظ متأخر خامل يـــورث البلادة ويقتل النشاط .

ومن أهمّ الأمور التي ندور في دواماتها ومـــساراتها .. التكالب والتنافس المحموم على كل أنـــواع المظـــاهر والقشور والتي تحكمها الموضة المتغيرة بتسارعٍ عجيبٍ عجيب نلهث وراءها حتى تنقطع أنفاسنا .. وتفـــرغ جيوبنا ..

وغيرها .. وغيرها .. وغيرها ..

وما أكثر الجوانب التي أصبحت من منظور تكرارهـــا واستمرارها إدماناً حقيقياً ..

قد يكون مشروعاً لا غضاضة فيه ولا ازدراء لشأنه ولا اعتراض عليه ولا رفض لتواجده .. ولكنه من منظور آخر فهو إدمان مؤذٍ له ضرره التراكمي الذي يوصـــل إلى نتائج لا تسرّ وعواقب لا تحمد .

ترى أي سطوة قاهرة لهذه العادات الذميمة ؟؟
وأي استسلام بليد نقابل به هذا التيـــار الجـــارف ؟؟
وبحرقة من أمضّه القيد .. أدعو نفسي .. وأدعـــوكم
لكي نتحرر من أسر الاعتياد ..
فلنحاول ألا نعتاد عادة مهما كانت ..
ولنقرر دائماً وأبداً أن نكون أحراراً .

سنشد عضدك بأخيك

الشد .. العضد .. الأخ ..

كلمات ثلاث .. تتنازعني معانيها بقوة وتقذف بي في مدارات التأمل والتفكر .. كلٌ منها على حدة قد اعتلت رأس مثلث وهو الشكل الأكثر متانة في الأشكال الهندسية .

تأملتها .. كلاً على حدة ..

أبحث في معناها منفردة وأحاول أن أجد في ارتباطها بالمعنيين الباقيين معنىً متميزاً عميقاً ..

الشَّدُّ .. فعل القوة والمتانة في ذات الأشياء ، فإذا أُضيف إلى الشيء الآخر ضاعف قوته وأعانه ونصره ،

كالحجر ، بأسه شديد لكنه في البنيان المرصوص يشدُ بعضه بعضاً لتكون الصروح العظيمة ..

وكالحديد ، فيه بأس شديد فإذا أُعدّتْ خلائط المعادن رفعت حدّ جودة خواصها وبلغت ذروة التحمل والمقاومة ..

وكالعصيّ ، تأبى إذا اجتمعن تكسّراً وإذا افترقن تكسّرتْ آحادا .

العَضُد .. عضو ما بين المرفق والكتف ، الجزء الذي يتخذ موقعه بين البدن والساعد فيأخذ النصيب الأعظم من الجهد أثناء حمل الأثقال ، ويجعل حركة اليد أكثر توازناً وثباتاً وشدةً ، وإذا كان الإبهام صانع الحضارة بمقابلته للأصابع الأربع الباقية يُكسبُها الدقة وحُسن التحكم ، فإن العضد يزيدها تمكناً ومواصلة .

الأخ .. اللفظة التي تحتل عرشها الملكي الخاص لتُضيف إلى الحياة ألواناً زاهية عديدة فمن أخ الـــرحم إلى أخ الدم ومن أخ النعم إلى أخ الألم ..

الأخ .. ذلك الكائن الذي تضمّه نفس جدران الرحم وتحنو عليه قبل أن تضمّه نفس جدران البيت وتُؤويه ، وما حاجة الإنسان إلى الاحتواء والحنـــان إلا ترجمـــة حقيقية لنداءٍ غامضٍ تصرخ به مسام الجسد شـــوقاً إلى ذلك المكان القرار المكين الذي احتوى بدء تكوينها ، ورافق نموها خلال تسعة شهور .. وليس غريباً البتة أن تخرج عفوياً لفظة / .. أخ ../ عند الإصابة والألم .

ومع الإمعان في التأمل ..

أجد أن كلمات البيان الإلهي لم تقل سنشد عـــضدك بعضد أخيك .. إذاً .. لأصبحت عملية مضاعفة القوة والشد آلية محضة .. جافةً .. وخالية من الإحساس .. والقوة بدون رحمة تكون غاشمة ظالمة ..

ولكن بأخيك .. وما ذاك إلا ليمنحه كياناً شاملاً فيه القوة الإضافية والعاطفة الدافئة ، الصلة الرحيمة والحنان الغامر .

نعم .. بأخيك .. فتطيب نفسك برفقة الأخ أثناء قيامك بالمهمة الثقيلة ، تأنس بوجوده من وحشة الطريق ، وتتجاذبان الحوار الحميم الذي يغني الحركة ويجدد النشاط ويسدد الخطى .

لقد كانت قوة النبي موسى عليه السلام هائلة وهو يعلم ذلك في نفسه فقد عرف آثارها حين وكز عدوه فقضى عليه / دون أن يقصد / ومع ذلك لما تلقّى أمر الرسالة وأدرك أهميتها في مواجهة فرعون الطاغية الذي قتل الأطفال وأذلّ الرجال والنساء ، وعلم ثقل شأنها في دعوة قومٍ ديدنهم المكر والخديعة وقتل الأنبياء ، طلب إلى ربه أن يُشرك أخاه في أمره ليشدّ به أزره وقد وضع بين يدي طلبه هذا أسباباً جوهرية أساسية يرتكز

عليها جوهر العلاقات بين أي اثنين .. بل .. بين كل اثنين ، آلا وهو الاجتماع تحت مظلة منهج الله حيث تسير حركات البشرية جمعاء وفق مدارات صائبة تحقق غايتها .. وسليمة تخلو من العيب .. ومطمئنة طيبـــة العيش .

الكذب يقتل الحب

جبالٌ هائلة من الكذب الجليدي تفصل بيننا .. تذوب هناك في أصقاع الروح ، وتطفو على سطح الماء كبقعة عظيمةٍ من النفط القاتل تتمدد لتقتل كل ما تحتها من حياة ..

عبثاً .. عبثاً أبحث عن قناةٍ للوصول إليك .. عبثاً أبحث عن منفذٍ للاقتراب منك .. عبثاً أُقنع القلب أن يفتح أشرعة التصديق ويرحل فوق كلمات **الحب** .. لقد أبى وعصاني .. وطاوعته الروح الجريحة .. وافترقنا .. افترقنا وقد ضمّنا المكان على نداء الغربة .. ومضى كل في طريقه .. وتوقفت رحلة الحب عند آخر كذبة .

قصاصة ورق بطعم الحب

قصاصة .. خضراء بلون عينيك ..

مجرد قصاصة .. صار لها مفعول الطلقة الـــتي تختـــرق الجسد .. أعترف أنها مكثت في قاع ذاتي .. في عمق قلبي .. في نقطة الضعف من حياتي .

قصاصة .. مجرد قصاصة ..

لو تركتها تهوي من يدك لما تركت في أثناء ســـقوطها أي أثرٍ أو دليل ..

إلا أنك – ودون أن تدري – جعلت مـــن أناملـــك البيضاء الكريمة التي ارتعشت تحت وطأة **حب** العطاء ، فوهات بنادق مصوّبة إلي ..

توسلّت إليك لا تقتلني بعطائك .. فتساءلت باستغراب ودهشة :

- بقصاصة ؟؟!!

نعم .. فقد تسلمتها منك مشحونة بسرٍ مكنـــون .. مضمخة بطيبٍ شفافٍ أَلوف .. محفوفة بجندية الروح التي تعلن الألفة صراحةً ثم تتعمد التقارب .

في محكمة الحب

طرق القاضي فوق طاولته بمطرقته المعهـــودة طرقـــات تنبيهية تأديبية ..

– هدوء .. هدوء .. يرجى من الحضور التزام الهـــدوء حفاظاً على سير المحاكمة ومنعاً للتشويش .

نظرت حولي .. لم يكن هناك أحد ..

رغم أن الضجيج يملأ المكان ..

صرخ القاضي باهتمام وتركيز :

– من **تحبّ** ؟

كان السؤال صعباً .. "من **أحب** ؟؟؟؟"

سؤالٌ يجب أن أجيب عليه ..

واغرورقت عيناي بالدموع .. أغمضتها باحثـــاً عـــن وجوه أحبتي .. غصت إلى قعر ذاكرتي باحثاً عن أسماء أحبابي ..

أين هم ؟ من هم ؟ أين الوجوه والأسماء ؟؟

واخجلتاه .. وأسفاه .. لم أجد أحداً ..

طأطأت رأسي .. قلت بـــصوتٍ متـــردد مـــنخفضٍ متلعـــثم :

- لا **أحب** أحداً .. لم أجد أحداً ..

- أنت تعترف إذن بسوء استعمالك لقلبك .. لذا فقد حكمت محكمة **الحب** بانتزاعه من صدرك .

- سيدي .. أرجوك .. الرحمة ..

أنا لم أكن أعرف أن قلبي لا يعمل .. لم أفتقده أبداً .. ولا أدري كيف لم أتفقده قبل الآن .. كنت أحـــس بالصقيع يسري في عروقي .. يكسو جدران نفسي .. كنت أحس بالظلمة تتمدد في مساحات كياني وتتغلغل

في خلايا جسدي إلا أني لم أهتم بالأسباب و لم أعرها انتباهاً أو بحثاً أو حتى تساؤلاً ..

آخر عهدي به صرخة مدوية ، في لحظة السقوط في مستنقع الغدر .. في لحظة الارتطام والاصطدام بجدار الحقيقة المرة ..

آخر عهدي به جرحٌ فوّارٌ يقذف بدماء الحياة إلى بقعة العدم .. وينزف آخر القطرات في زمن الاحتضار ..

آخر عهدي به دموع حارة حفرت بصمتٍ حائرٍ أخدودها فوق سنين العمر .

– ديباجتك في الدفاع عن نفسك غير مقنعة ولا مقبولة ، أسبابك واهية وحجتك ضعيفة .. فالغدر والخيانة موجودان من الأزل ومستمران استمرار البشرية ..

ولكن القلوب ما تزال **تحبّ** ، أحياناً أو غالباً بدون شروط .. ويبقى **الحب** سيد الموقف ..

في حال وجوده أو في حال فقدانه .. سطوته آســـرة حين يمتلك من القلب خفقاً ولهفةً وتوهّجاً مثل ماســـة حقيقية كما أن غيابه يورث ألماً وحـــسرةً وإحـــساساً بالجفاف والخواء والتضوّر .

– سيدي .. حكمكم بانتزاع قلبي جائر .. أرفـــع إلى عدالتكم طلب التماس تخفيف الحكم .

– لكنك يا بني ستعيش بهذا القلب الميت الفارغ الموت في انتظار الموت .

محطاتٌ .. محطات

محطات على الطريق الطويلة .. يتوقف فيها قطار العمر لحظات قصيرة ثم يتابع مسيره حثيثاً إلى نهاية المطاف .

محطتان يوميتان تفيضان بالحكمة .. الفجر والغروب .. يتناوبان بصمتٍ بليغٍ (وربّ صمت أبلغ من كـــلام) ليخبرا أن الزمن كائنٌ عجيب رهيب يتربص بنا ويفغر فاهاً عظيماً ليتلقف كل ما نكتسبه في حياتنا .. الفجر بوعده الآسر الدائم أن الفرصة ما تزال سانحة ، ومـــا علينا إلا اقتناصها يوماً بعد يوم .. والغروب الحكـــيم الواعظ الذي يدقّ برفقٍ واستمرارٍ أجراس الإنـــذار ،

ويعلن أن لكل بداية نهاية .. ولسان حاله يكرر ويكرر أن النهاية قادمة لا محالة ..

وتترى المواسم العديدة .. وتتوالى المحطات المتنوعة .. محطات تفتح لنا دفـــاتر حسابات مختلفـــة الأنـــواع نعايشها .. ونرتبط بها .. لتقولب حياتنا بشكلٍ ملـــحٍّ ومؤثر .. منها مثلاً ..

حسابات تمويل بعض أحلامنا الخاصـــة ومـــشاريعنا الشخصية التي تؤجل إلى مواسم الحصاد أو إلى يـــوم استلام الراتب الشهري ..

حسابات التلقي والتعلم على مقاعد الدراسة حـــتى إذا جاء الامتحان فيكرم المرء أو يهان ..

حسابات السنة المالية في الأعمال التجارية لمراقبة الربح أو الخسارة ..

حسابات الرصيد العاطفي الذي نودعـــه في قلـــوب أحبابنا آناً بعد آن حتى إذا اعترانـــا طـــارىء مـــا أو

أحاطت بنا أزمة ما أو مرت علينا مناسبة ما ، وجدنا ريع هذا الرصيد يثمر مشاركة واهتماماً وتعاطفاً ..

حسابات الأعمال الطيبة الصالحة التي توزن في ميـــزان المعروف الحسنة بعشر أمثالها فتفيض خيراً وتعمّ بِـــشراً لتذهب السيئات وتمحو الذنوب وتطهّر النفوس متمثلة بمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه خمس مرات .. هل يبقى من درنه شيء ؟) ..

حسابات الإنجاز على كل صعيد .. فمن أعمال يومية روتينية تكاد تكون أعباء تثقل كواهلنا لكنها عاجلـــة وهامة .. إلى طموحاتٍ وأهدافٍ نقيس تقدّمها مـــع مرور الزمن لندرك أي شوطٍ من المسير قطعنـــا .. إلى رسالة هي العمر كله تستغرق أيامه وثوانيه ، يساعدنا في ذلك التركيز على موضوعٍ واحدٍ نتوسّع في آفاقـــه ونغوص في أعماقه ونشبعه بحثاً وتقصّياً ، وهو الأمـــر

الذي حدا بالمنظمات العالمية أن تفرد عاماً لكل قـــضية بغية استنباط الفائدة القصوى من الزمن ..

كعام الطفل أو عام مكافحة المخدرات أو عام الأبحاث الفضائية .....

ولأن العام محطة وسطية تستوعب حجم إنجاز مناسب وتسمح بالأداء الصحيح الأمثل ، لا بالمتراخي البطيء الذي يعرقل السير ويفقده الحمـــاس والمثـــابرة ، ولا بالسريع الأهوج الذي يجعله ارتجالياً عـــشوائياً مليئـــاً بالثغرات والتجاوزات ..

لهذا صار العام محطة عالمية اتخذته العولمة إحدى أدواتها الجماهيرية الشائعة التي تنتظم الشعوب القاطنـــة بـــين خطوط الطول والعرض على سطح الكرة الأرضية .. وصار أول العام .. تحديداً أول يومٍ فيـــه .. مناســـبة سنوية للبدء .. مروراً بخطـــواتٍ ثـــلاث .. دراســـة الاختيارات ثم اتخاذ القرار ثم البدء ..

فهل نبدأ حياةً جديدةً ؟؟..

وهل نبدأ رسالةً حقيقيةً ؟ ..

وهل نبدأ تغييراً حضارياً ؟ ..

وهل نبدأ وجوداً مثمراً ؟؟؟؟

إن ١/١ هو دعوة سنوية للبدء .. فهل نبدأ ؟.

جدول المحتويات

قلم يكتب الحبّ ٧
الحب البشري الأعظم..... ٢٣
لا تقتلوا باسم الحب..... ٥٨
فن البقاء ملء العين ٧٢
هل الحياة مملّة ؟؟؟ ٧٦
حين تتعدد القراءات ٨١
أنت تضيّعين وقتك..... ٨٥
أوهن البيوت..... ٨٨
استعباد .. أم مجرد اعتياد ؟؟..... ٩١
سنشد عضدك بأخيك ٩٥
الكذب يقتل الحب ١٠٠
قصاصة ورق بطعم الحب ١٠١
في محكمة الحب..... ١٠٣
محطاتٌ .. محطات..... ١٠٧

المؤلفة في سطور :

يمان عبد الحميد ياسرجي ـــ مهندسة معمارية ـــ

صدر لها :

* عقد الياسمين / مجموعة قصصية /
* فسيفساء في خزينة الذات / وجدانيات وقصائد /
* لغز المحال / وجدانيات وقصائد /
* كن رائع الجمال / مقالات قصصية /
* جحا يزور التليتبيز / مسرحية للأطفال /
* كانوا أطفالاً مثلكم / قصص للناشئة /
* بصمات / مقالات قصصية /
* المفكرون الصغار / مسرحية للأطفال /
* حكايات للجيل القادم / قصص للناشئة /
* قلم يكتب الحب / مقالات قصصية /

سيصدر لها :

* عندما يعصف الحب / رواية /